النقد اللغوي بين سلطة المعيار وأفق الاستعمال
قراءة في الامتداد المعرفي بين القديم والحديث

د. ناصر جمعة السّيابي
كلية الآداب والعلوم الإنسانيّة بالرّباط
المغرب

الملخصّ:

يتناول هذا المقال مفهوم النّقد اللّغويّ بوصفة ممارسة معرفيّة، تهدف إلى تقويم وتعديل الاستعمال اللّغويّ والتّمييز بين صحيح الكلام وفاسده، وفق معايير مستمدّة من ذات النّظام اللّغويّ وسياقاته التّداوليّة. فالمتعارف عليه أنّ النّقد اللّغويّ يتقاطع مع مفهوم النّقد العام فكلاهما يُعنى بالتّمييز والتّقويم والتّحليل... غير أنّ النّقد اللّغويّ يختلف عنه بالتّركيز على اللّغة باعتبارها بنية ونظاما ووظيفة تواصليّة. لذلك سلّطنا الضّوء على تاريخ النّقد اللّغويّ والّذي ارتبط بعلوم العربيّة التّقليديّة مثل النّحو والبلاغة والعروض... فهو يتّسم بالطّابع المعياريّ الصّارم ويعتمد أساسا على معيار السّماع والقياس وعلى الاحتجاج بكلام العرب الفصحاء... إذا كان الهدف الرّئيسيّ من ذلك صيانة اللّغة من اللّحن والانحراف والحفاظ على نقائها، بوصفها وعاءً للقرآن الكريم خاصة والتّراث العربيّ عامة. ثم سرعان ما شهد النّقد اللّغويّ تحوّلات إبستمولوجيّة عميقة نتيجة التّأثر الواضح بالنّظريات اللّسانيّة الحديثة كالنظريات البنيويّة والتّوليديّة والتّداوليّة، فصار يتجاوز النّظرة المعياريّة الضّيقة إلى رحاب التّحليل الوصفيّ الّذي يدرس اللّغة في بعدها الاستعمالي الفعليّ.

الكلمات المفاتيح: المعياريّة، الوصفيّة، النّقد، اللّغويّ، التّواصل، قديما، حديثا.

Abstract

This article explores linguistic criticism as an epistemic practice concerned with evaluating and refining language use, and with distinguishing between correct and deviant forms, in accordance with standards derived from the internal structure of the linguistic system and its pragmatic contexts. Linguistic criticism intersects with general criticism insofar as both engage in processes of evaluation, differentiation, and analysis; however, it is distinguished by its specific focus on language as a structured system and as a communicative function. The study traces the historical trajectory of linguistic criticism, highlighting its close association with traditional Arabic disciplines such as grammar, rhetoric, and prosody. It also examines the epistemological transformations brought about by modern linguistic theories, including structuralism, generative grammar, and pragmatics, which have shifted the focus from prescriptive normativity toward descriptive analysis of actual language use.

مقدّمة:

إنّ النّقد بمعناه التّقليديّ هو: "نشاط يقوم على عمليّة انتقاء وتحليل وإطلاق أحكام على الأعمال أو المفاهيم الأدبيّة ... وقد ينصرف على التّحليل والوصف والتّأويل."[1] إنّ من أكثر التّعريفات اختصارا لمفهوم النّقد هو أنّه: "تمييز جيّد الأدب من رديئه... والحكم على ذلك الأدب، وإنزال المنقود في منزلته، ثمّ تقويم الأديب الّذي أنتج النّصّ."[2] أو أيضا هو "تحليل القطع الأدبيّة وتقدير ما لها من قيمة فنيّة."[3]

إنّ كلّ هذه التّعريفات لا تخرج عن المادّة المعجميّة لمادّة "نقد" فهي: في لسان العرب "النّقد والتّناقد: تمييز الدّراهم وإخراج الزّيف منها... ونقدت له الدّراهم؛ أي أعطيته، فانتقدها؛ أي قبضها ونقدت الدّراهم، وانتقدها إذا أخرجت منها الزّيف... ونقد الرّجل الشّيء بنظره ينتقده نقدا ونقد إليه: اختلس النّظر نحوه... والإنسان ينتقد الشّيء بعينه وهو مخالسة النّظر لئلاّ يفطن له.."[4]

نلاحظ أنّ كلّ التّعريفات السّابقة تتمحور حول موضوع المال والعُملة والدّراهم، إلاّ أنّها دلالة مجازيّة لا غير، فالمعنى الحقيقيّ الّذي نُريده من شرحنا لهذا المفهوم "النّقد" هو الاشتغال به في الحقل المعرفيّ والأدبيّ واللّغويّ بالأساس، إلاّ أنّ الدّلالة الجديدة للكلمة ظلّت على وشائج كبيرة بالدّلالة القديمة، رغم اختلاف المجال. إنّ "النّقد" ببساطة هو تمييز الشّيء الصّالح من الشّيء الرّديء، ويتمّ ذلك الاختيار إمّا عن طريق الحواس أو العقل، ولا يتمّ هذا الاختيار إلاّ بعد "المناقشة"، وهذا ما يعنينا نحن في بحثنا هذا، فالنّقد هو: فعل تقييم ومناقشة بالأساس.

المبحث الأوّل: مفهوم النّقد اللّغويّ.

النّقد في معناه العامّ هو: التّعامل مع النّصّ سواء أكان نثرا أم شعرا، وبيان المراد منه، والوقوف على مواطن القوّة والضّعف فيه[5]. وهو بهذا مهمّة صعبة تحتاج إلى ثقافة عاليّة، وأمانة علميّة في إصدار الأحكام، ولذلك قال الجرجاني: "إنّ النّقد مهمّة ليست باليسيرة، فيه تحتاج إلى علم واسع وذوق رفيع وإنصاف، وعلى النّاقد الجمع بين العلم والذّوق، وهذا العلم واسع لا يقف عند اللّغة والإعراب، وإنّما يتجاوزهما إلى كلّ ما له علاقة بالرّأي."[6]

أمّا النّقد اللّغويّ فهو: جانب من جوانب عناية علماء العربيّة، ووسيلة من الوسائل الّتي استعانوا بها للحُكم على النّصوص وبيان قيمتها ومكانتها والحفاظ على سلامتها من اللّحن. وقد ساعد على بروز هذا النّوع من النّقد انتعاشة الحياة الثّقافيّة، وقيام الدّراسات القرآنيّة والحديثيّة ونشاط الشّعراء بأشعارهم.

1. النّقد اللّغوي في التّراث العربيّ.

تنوّع رُوّادُ النّقد اللّغويّ بتنوّع اختصاصاتهم المعرفيّة من شعراء ونُحاة وقُرّاء ولغويين وأدباء...

1.1 تنوّع النّقاد بتنوّع اختصاصات المعرفة:

- الشّعراء والنّقد اللّغويّ:

كان الشّعراء من النّقاد الأوائل. هؤلاء الّذين ذاع صيتهم وعلا كعبهم بين العرب، فممّا يُروى عن ذلك أنّ "النّابغة الذّبياني كان يحكم بين الشّعراء في سوق عُكاظ، فكان ينقد الشّعراء في جلسات تحكيمية، حيث كان يستمع لقصائدهم ويُبدي رأيه الفنيّ الدّقيق، مركزاً على بلاغة الألفاظ، وقوة المعنى، وجمال الصّورة الشّعرية... مستخدماً أسلوباً يجمع بين الإعجاب النّقدي والتّقويم البنائيّ، كما حدث مع حسان

---

[1] الموسعة العربيّة، المجلد 20، ص826.

[2] أنظر مقال: دور النّقد في دراسة النّصّ الأدبيّ، الوارد بمجلة: ابن خلدون للدّراسات والأبحاث المجلد 03 ص03

[3] النقد في الفنون الأدب العبي، ص09.

[4] لسان العرب، مادّة "نقد"

[5] انظر مقال: النقد اللغوي عند السيد ابن طاووس على آراء الفراء، مجلة كلية الإمام الكاظم (ع) للعلوم الإسلاميّة، عدد 2018، ص3

[6] أصول النقد الأدبي، ص25.

بن ثابت والخنساء، حيث وجّههما لتحسين اختيار الكلمات لزيادة قوة الأبيات... فنقد حسّان قائلا له: "إنّك لشاعر لولا أنّك قلّلت عدد جفانك وسيوفك" (الجفنات دون العشرة لو قلت الجفان) و"قلت يلمعن بالضّحى ولو قلت يبرقن بالدّجى لكان أبلغ" (لأنّ الضّيف يكثر ليلاً). ونقد الخنساء وأثنى على شعرها، لكنّه نقد بعض الألفاظ، مثل قوله "الجفنات" بدل "الجفان" لتفيد الكثرة، و"يلمعن "بدل "يشرقن" لتحقيق الدّيمومة، و"بالضّحى" بدل "بالدّجى" لزيادة التّأثير، و"يقطرن" بدل "يسلن."

- النّحاة والنّقد اللّغويّ:

ظهر النّقد اللّغويّ مرافقا ولاحقا لوضع أوّل علوم العربيّة وهو النّحو. فمنذ أن وضع بعض النّحاة الأوائل قواعد النّحو العربيّ راحُوا ينقدون الشّعراء وشعرهم وحاولوا أن يخضعوهم إلى ما وضعوه من قواعد ومعايير نحويّة. وكان من بينهم هؤلاء النّحاة "عبد الرّحمن هرمز" و"عبد الله بن أبي إسحاق الحضرميّ" و "عيسى بن عمر" ...

لنا أن نقول أنّ أُولى أشكال النّقد كانت "نحويّة" بامتياز. في العصر الأمويّ. يشير "أحمد أمين" في مضمون كلامه عن بدايات النّقد النّحويّ، أنّه لم يكن منهجيًا كالنّقد الأدبيّ العامّ، الّذي ركز على النّقائض والمفاخرات بين جرير والفرزدق والأخطل في العراق، وعلى المجالس في الشّام، بل كان جزءًا من النّقد الأدبيّ الأوسع الّذي بدأ يتشكّل حول قضايا الشّكل والمضمون، وكشف عن اهتمامات النّحويين والعلماء الّذين كانوا يراقبون سلامة اللّغة.

رغم أن النّقد النّحويّ المباشر لم يظهر كعلم مستقل بذاته إلّا لاحقًا، لكنّ أساسه كان موجودًا في اهتمامات علماء البصرة والكوفة وتأثير الخلفاء الأمويين على ضبط اللّغة من بين هذه الأمور ان عبد الملك بن مروان كان يقول: "اضر بنا هذا اللحن"[7] وكان يحث ولاته على تقويم الالسنة وتعليم العربية. إنّ من الأخبار الّتي وصلتنا عن النّقد اللّغويّ للشّعراء تلك الرّدود الانفعاليّة الغاضبة للشّعراء على أولئك النّقّاد من النّحاة، من ذلك يقول: "ابن سلام الجمحي: "وأخبرني يونس أنّ ابن أبي إسحاق الحضرميّ –وهو نحويّ– قال للفرزدق في مديحه يزيد بن عبد الملك:

وعضّ زمان يا ابن مروان لم يدع من المال إلاّ مسحتا أو مجلّف

علام رفعت الجلّف؟ فقال الفرزدق: على ما يسوؤك وينوؤك. قال ابن أبي إسحاق: إنّما هي (مسحتا أو مجلّفا) وكذا قياس النّحو في هذا الموضع، فغضب الفرزدق وقال: لأهجوّنك ببيت يكون شاهدا على ألسنة النّحويين أبدا، وإذا به يهجوه بقوله:

فلو كان عبد الله مولى هجوته ولكنّ عبد الله مولى الموالیا

فقال له ابن إسحاق: أخطأت مرّة أخرى. فإنّما هي (مولى موالٍ)[8]

من الوقائع الأخرى الّتي وصلت إلينا وأكّدت على نقد النّحاة للشّعراء وشعرهم، هو ماورد في معجم الأدباء أنّ الشّاعر عمّارا الكلبيّ ضاق ذرعا بجُرأة النّحاة على شعره وهم في نظر أنفسهم من أمراء البلاغة والبيان واللّسان، فراح يهجوهم مدّللاً على سليقة عرقه مقارنة بالنّحاة النّاقدين المستعربين الموالي وقد تعلّموا النّحو صناعة لا غير فقال فيهم:

مَاذَا لَقِينَا مِنَ المُسْتَعْرِبِينَ وَمِنْ * قِيَاسِ نَحْوِهِمُ هَذَا الَّذِي ابْتَدَعُوا
إِنْ قُلْتُ قَافِيَةً بِكْرًا يَكُونُ بِهَا * بَيْتٌ خِلَافَ الَّذِي قَاسُوهُ أَوْ ذَرَعُوا
قَالُوا لَحَنْتَ وَهَذَا لَيْسَ مُنْتَصِبًا * وَذَاكَ خَفْضٌ وَهَذَا لَيْسَ يَرْتَفِعُ
وَحَرَّضُوا بَيْنَ عَبْدِ اللهِ مِنْ حُمُقٍ * وَبَيْنَ زَيْدٍ فَطَالَ الضَّرْبُ وَالْوَجَعُ
كَمْ بَيْنَ قَوْمٍ قَدِ احْتَالُوا لِمَنْطِقِهِمْ * وَبَيْنَ قَوْمٍ عَلَى إِعْرَابِهِمْ طُبِعُوا
مَا كُلُّ قَوْلِيَ مَشْرُوحًا لَكُمْ فَخُذُوا * مَا تَعْرِفُونَ وَمَا لَمْ تَعْرِفُوا فَدَعُوا
لِأَنَّ أَرْضِيَ أَرْضٌ لَا تُشَبُّ بِهَا * نَارُ الْمَجُوسِ وَلَا تُبْنَى بِهَا الْبِيَعُ

[7] انظر، العقد الفريد، ج2/479.

[8] طبقة فحول الشّعراء، ص201.

لم يعد أمر اللّحن حكرا على المستعربين من غير العرب الأصليين فقط، بل صار منتشرا في عامّة القوم، وكان لابدّ من ظهور "النّقد اللّغويّ" لتقويم هذا اللّحن حيثما ورد، ومن أبرز المجالس النّقديّة الّتي ذاع صيتها وأخذت طابعا رسميّا، هي تلك المجالس الّتي كانت تُعقد في بلاط سيف الدّولة" بين "ابن خالويّة" صاحب كتاب "ليس في كلام العرب" وكبير الشّعراء "المتنبي"، وممّا وصل إلينا من أخبار تلك المجالس أنّ "ابن خالويّة" قد عاب على "المتنبي" خطأه في جمع المصدر في بيته:

إِنَّما التَهنِئاتُ لِلأَكفاءِ وَلِمَن يَدَّني مِنَ البُعَداءِ

وَأَنا مِنكَ لا يُهَنِّئُ عُضوٌ بِالمِسَرّاتِ سائِرَ الأَعضاءِ

مُستَقِلٌّ لَكَ الدِيارَ وَلَو كا نَ نُجوماً آجُرُّ هَذا البِناءِ

وَلَوَ أَنَّ الَّذي يَخِرُّ مِنَ الأَم واهِ فيها مِن فِضَّةٍ بَيضاءِ

فما كان من المتنبي إلاّ أن التفت إلى بعض الجلساء حوله وسألهم: هل هذا المعترض مسلم؟ وهو يريد، أنّ السّائل لو كان مسلما ويصلي كل يوم خميس مرّات ويقرأ دعاء التّشهد في كلّ صلاة (التّحيات لله...) لما سأل مثل هذا السّؤال. ولو أنّ "ابن خالويّة" أخطأ النّقد في نظر المتنبي، إلاّ أنّ هذا يظهر لنا خبرا مؤكّدا عن تصدي النّحاة لنقد الشّعراء لغويّا عن حق، كما في حالة "ابن إسحاق" أو عن وهم كما في حالة "ابن خالويّة".

- النّقد اللّغويّ والفُرّاء.

الفُرّاء هم من العلماء العرب الّذين اشتغلوا بالقراءات القرآنيّة ضبطا وتعليما ونقلا. ومعظم هؤلاء هم من اللّغويين مثل الفرّاء، بن العلاء، والكسائي... ومن المعروف عليهم أنّ اختلاف القراءات نابع من اختلاف التّوجه النّحويّ. فبحسب المعنى الّذي يختاره القراء يختلف النّطق. إذن فلا عجب في أنّ يشارك القرّاء في النّقد اللّغويّ ولكن ليس للشّعر أو الخطابة بل لقراءة القرآن ولا نقصد بهذا أنّ النّقد يوجّه على النّصّ القرآنيّ في ذاته بل إلى طريقة قراءته من قبل بعض النّاس.

الإعراب مثلا هو: ميزان القراءة المقبولة عند الكثيرين من اللّغويين ومن بينهم "النّحاس"، ذلك لأنّ للقراءات وجوها كثيرة، وكان الإعراب أولى بذكرها لما فيها من النّحو، ولأنّه لا يضبط مثلها إلاّ أهل الإعراب، فمثلا قراءة نافع من رواية قالون "وهم يختصمون"[9] بإسكان الخاء وتشديد الصّاد، لا تجوز عند "النّحاس" ؛لأنّه جمع بين ساكنين، وليس أحدهما حرف مدّ ولين، وإنّما يجوز في مثل هذا إخفاء الحركة، فلم يضبط كما لم يضبط عن أبي عمرو في "فتوبوا على بارئكم"[10] إلاّ من رواية من يضبط اللّغة، كما روى سيبويه عنه أنّه كان يختلس الحركة. نفهم من هذا أنّ القراءات على اختلافها لا يقبل منها إلاّ ما كان موافقا لأصول وقواعد النّحو العربيّ.

- النّقد اللّغويّ واللّغويون والأدباء.

نعني بهذا هؤلاء الّذين اعتنوْا باللّغة وأُصولها والأدب والدّلالة، ولم يغلب النّحو على نقدهم من بينهم "ابن قتيبة" و"السّكيت" و"ابن جني" والحريري". فقد انصبّ نقدهم على المدوّنة الشّعريّة، لاعتبارها المصدر الأوّل للعربيّة الفصحى، ولذا كانت همومهم متّجهة إلى ذلك النّوع من التّعبير بصفته مرحلة يعود إليها التّحكيم في الأداء اللّغويّ، وبالتّالي لا يجوز أن تقع في الخطأ. قد جاء في كتاب "درة الغواص في أوهام الخواص" للحريري البصري، نقدا للمتنبي عندما جمع كلمة "بوق" على "بوقات" في قوله:

إذا كان بعض الناس سيفاً لدولةٍ ففي الناس بوقاتٌ لها وطبولُ"

فلم ير أن جمع "بوق" هو "أبواق" وأنّ شروط جمع المؤنّث السّالم لا يتوفّر في هذه الكلمة.

[9] ياسين، الآية، 49

[10] البقرة، الآية 54

من ذلك أيضا ما قم به "ابن قتيبة" عندما عقد بابا كاملا للفروق بين مدلولات الألفاظ لكثرة أخطاء الكتّاب فيه، فلا يميزون بين الحسيس وهو صوت حركة الإنسان والهمس وهو صوت الإنسان الخفيّ.[11] كما فعل آخرون نفس الشّيء من بينهم:

الجاحظ في ("البيان والتبيين") قد كان يركز على الجانب البلاغي والدّلالي، مع اهتمام بالنقد اللّغوي وتصويب الألفاظ وتحليل الفروق الدّقيقة بينها. وقدامة بن جعفر (في "نقد الشّعر") :اهتمّ بتصويب الأخطاء اللّغوية والبلاغيّة في الشّعر، وكتابه يعدّ من أهم مصادر النّقد المبكر، الّذي يجمع بين النّقد الأدبيّ والبلاغة. وعبد القاهر الجرجاني :من رواد النّقد العربي، ركز على بناء الجملة وقوة الدّلالة، خاصّة في كتابه "دلائل الإعجاز." وابن طباطبا في ("عيار الشّعر") :اهتمّ بمعايير الشّعر وقوامه، وكان يصحح الأخطاء اللّغوية والدّلاليّة في الأبيات الشّعرية. ومع ظهور النّحو، انتقل النّقد للتركيز على الأخطاء النّحويّة الصّريحة (مثل تقديم الخبر أو التّأنيث والتّذكير) وتصويبها، كما فعل ابن أبي إسحاق في نقد لكثير من الأبيات الشّعريّة.

2.1 النّقد واهتماماته المعرفيّة

– النّقد اللّغويّ بين الذّوق والانطباع:

" يرى بعض الدارسين ان النقاد العرب القدامى في احكامهم على النصوص الأدبية كانوا يعتمدون الى حد كبير على الذوق النقدي والانطباع المباشر في تقييم الجمال وجودة الأسلوب."[12] ممّا عُرف على أهل يثرب أنّهم كانوا يقفون موقف النّاقد الّذي ألف سماع انتظام أصوات المقول الشّعر؛ حتّى إذا ما اعترى مقول الشّعر أي نشاز شكليّ، أفقده تناغمه الصّوتيّ نبّه إليه ولفت الأنظار نحوه بل وعابه؛ حتّى ولو صدر من شاعر متمرّس كالنّابغة الذّبياني وغيره. من أمثله هذا أنّ عدم انتظام البيتين في حرف الرّويّ أحدث خللا في الشّكل الصّوتيّ وذلك ظاهر بين كلمتيْ (مزود، الأسود) والّذي سيعرف بظاهرة الإقواء بعد تأسيس علم العروض مع الخليل بن أحمد الفراهيدي، إذا قال النّابغة الذّبيانيّ:

أَمِن آلِ مَيَّةَ رائِحٌ أَو مُغتَدِي عَجلانَ ذا زادٍ وَغَيرَ مُزَوَّدِ

زَعَمَ البَوارِحُ أَنَّ رِحلَتَنا غَداً وَبِذاكَ خَبَّرَنا الغُدافُ الأَسوَدُ

ولم يكن هذا فقط بل أنّ الشّاعر كان قد خرق النّظام الصّوتيّ في مواضع أخرى من شعره، وهو ما لم تألفه الأذن العربيّة القديمة إذ يقول:

سَقَطَ النَصيفُ وَلَم تُرِد إِسقاطَهُ فَتَناوَلَتهُ وَاتَّقَتنا بِاليَدِ

بِمُخَضَّبٍ رَخصٍ كَأَنَّ بَنانَهُ عَنَمٌ يَكادُ مِنَ اللَطافَةِ يُعقَدِ

نستنتج من هذا أنّ كلّا من النّقد اللّغويّ والأدبيّ كانا يعتمدان على الذّائقة والانطاع، فالشّعر الجاهليّ كان شعر سماع تتلقاه الأذن فتستسيغه أو تستهجنه تبعا لانسجام عناصر بينته الشّكليّة، ومنها العنصر الصّوتيّ الرّابط الّذي يربط كلّ إيقاع في البيت الشّعريّ بالإيقاع الّذي يليه في البيت الموالي وهكذا بالنّسبة لجميع أبيات القصيدة الواحدة، فتتناغم عناصر القصيدة إيقاعا لتقع من سماع المتلقي موقعا حسنا. ولكن إذا حدث خلل إيقاعيّ في بنية القصيدة هذا يعتبر مدعاة للاستهجان من قبل المتلقي.

يُروى عن النّابغة الذّبياني أنّ عيوبا كانت في شعره، فتنبه إليها لما ورد على أهل يثرب فقال: "وردت يثرب وفي شعري بعض العاهة، ورحلت عنها وأنا أشعر النّاس."[13]

---

[11] الخصائص، ج1/ ص308-321.

[12] الذوق النقدي والنقد الانطباعي بين النقد القديم والحديث، مجلة الجامعة الإسلامية للبحوث الإنسانية، 26 (1) ص84-97.

[13] المرزباني، ص40.

كانت يثرب حسب ما صرّح به أحد الباحثين، كانت "ميدانا حيويّا للنّقد، وقد ارتبط نقدها بدرجة رئيسيّة بالعيوب الصّوتيّة."[14]، كلّ تلك العيوب الصّوتيّة سيعالجها أحمد بن خليل الفراهيدي في العصر الأمويّ مع ظهور علم العروض، يُقال عن العروض: "يلاحظون في أخبار قليلة تقاليد الشّعر الأخرى من الوزن واللّغة والصّياغة، ويقيسون صحّتها إلى ما كان قد استقرّ لديهم من تقاليد فنيّة ولغويّة ولم يكد يسلم من هذه الملاحظات النّقديّة الدّائبة شعراء هذه الطّبقة."[15]يحدّثنا امرؤ القيس عن مراجعته لما ينظم بعد النّظم حتّى يخرج في أبهى حلّة للنّاس كأنّه في عمليّة نقد ذاتي لشعره يقول:

أَذُودُ الْقَوَافِيَ عَنِّي ذِيَادَا ذِيَادَ غُلَامٍ جَرِيءٍ جوادَا
فَلَمَّا كَثُرْنَ وَأَعْيَيْنَنِي تَنَقَّيْتُ مِنْهُنَّ عَشْرًا جِيَادًا
فَأَعْزِلُ مَرْجَانَهَا جَانِبًا وَآخُذُ مِنْ دُرِّهَا الْمُسْتَجَادَا

وأخذ ينتشر هذا المعيار النّقدي بين الشّعراء والّذي قال فيه الحطيئة: "نقّحوا القوافي فإنّها حوافر الشّعر." [16]

– الاهتمام بالشّكل المعجميّ.

كان الاهتمام المعجم في القول الشّعريّ من أساليب النّقد القديم من ذلك ما نعرفه في التّراث القديم من بينها قصّة "أمّ جندب" الّتي اتّخذت دور النّاقد في المفاضلة بين الشّاعرين "امرؤ القيس وعلقمة بن عبدة" يقول ابن قتيبة ساردا القصّة:

"احتكم (علقمة الفحل) مع امرئ القيس على امرأته "أم جندب" بتحكم بينهما فقالت: قولا شعرا تصفان فيه الخيل على روي واحد وقافيّة واحدة:

فقال امرؤ القيس: خَليلَيَّ مُرّا بي عَلى أُمِّ جُندَبِ نُقَضِّ لُباناتِ الفُؤادِ المعَذَّبِ

وقال علقمة:

ذَهَبتَ مِنَ الهِجرانِ في غَيرِ مَذهَبٍ وَلَم يَكُ حَقّاً كُلُّ هَذا التَجَنُّبُ

ثمّ أنشداها جميعا فقالت لأمرئ القيس: علقمة أشعر منك: قال: وكيف ذاك؟

قالت: فللسَّوط أُلهوبٌ وللسَّاق دِرَّةٌ وللزَّجر منه وَقْعُ أَخْرجَ مُهذِب

فجهدت فرسك بسوطك ومريته بساقك:

قال علقمة: فأدركهنّ ثانيا من عنانه يمرُّ كمرّ الرّائح المتحلّب

فأدرك طريدته وهو ثان من عنان فرسه، لم يضربه بسوط ولا مراه بساق ولا زجره..." [17]

من خلال هذا الحدّث الطّريف سيؤسّس الآمديّ: معيارا دقيقا للقول الشّعريّ فهو يرى: "أنّ الشّعر لا يتأثر كثيرا إذا أخطأ الشّاعر، فجعل ذيل فرسه طويلا أو استعمل السّواط في حثّه على الجري، أو خيّل إليه أنّ الفستق من البقول، وأظنّ أنّ صاحب الفيل لا بدّ أن يكون

[14] النقد في مجالس مدينة يثرب (دراسة تحليلية في النقد العربي القديم، ص03.
[15] أسس النقد الادبي عند العرب، ص88.
[16] الرسالة الموضح في علم البيان والنقد، ص15.
[17] الشعر والشعراء، ص31.

قويّا كالفيل، فمن السّهل أن تحاكم المبالغة لديه إلى مقياسك الفنيّ... كلّ هذه أخطاء جزئيّة، ولكنّ الشّعر يصاب في الصّميم إذا قلنا: إنّك لا تستطيع أن تقول: "وضربت الشّتاء في أخدعيه"، لأنّ العرب لا تستعمل مثل هذه الاستعارة."[18]

– الاهتمام بالمستوى الصّرفيّ:

إنّ المبالغة في الشّعر باستعمال ألفاظ بعينها، هو ما يجعل الشّاعر يصل إلى أقصى درجات ملامسة المعنى ولهذا عاب "النّابغة الذّبياني" حسّان بن ثابت قوله:

لنا الجفنات الغرّ يلمعن في الضّحى وأسيافُنا يقطرن من نجدة دمّا

فالنّابغة يرى أنّ الصّيغة الصّرفيّة "الجفنات" كما تدل عليها بنيتها الشّكليّة تشير إلى عدد قليل من الجفان، بينما ما قدّمه النّابغة كبديل لهذه الصّيغة هو "الجفان" والفرق بيّن بين الصّيغتين: إذ الصّيغة الأولى تقصر عن بلوغ المعنى في حده الأقصى، وهو مرمى كلّ شاعر، بينما الصّيغة الثّانيّة تقود المعنى إلى مداه، وتبلّغ الشّاعر ما يصبو إليه من مبالغة. نفس الأمر في الشّطر الثّاني من نفس البيت فقد أبدى النّابغة اعتراضه عليه، حينما اعترض على الصّيغة الصّرفيّة "أسياف" والأجدر حسب رأيه هو أن يستعمل الشّاعر في هذا الموضع لفظ "سيوف" والفرق يبدو واضحا بين الصّيغتين في تأدية المعنى وكأنّ بالنّابغة النّاقد هاهنا يقدّم درسا صرفيّا حول صيغ الجمع والمواضع الّتي يستعمل فيها نوع دون الآخر.

ما نلاحظه من كلّ ما سبق أنّ النّقد الجاهليّ اتّجه إلى نقد الشّكل أوّلا، نظرا لما في الشّكل اللّغويّ من أثر على سمع المتلقيّ. فاللّغة هي الّتي تأخذ باهتمام السّامع. فينصرف منها إلى المعنى، من بين ذلك أنّ " فعل الإبداع يعني أن يتجاوز القارئ المألوف، فيرتقي مع الشّاعر إلى خلق عوالم ما كان يعرفها."[19] نفهم من هذا أنّ انتقاء الشّكل اللّغويّ الأمثل يُساعد الشّاعر على إيصال المعنى المراد إيصاله.

إنّ الاهتمام بالشّكل اللّغويّ المعجميّ للشّعر من معالجة معجميّة وغيرها، كإبدال مفردة بأخرى، لعدم تناسبها مع المعنى الّذي يُريده الشّاعر من خلال مقوله الشّعريّ، وفي هذا النّوع من النّقد يمكن أن نقول أنّ هذه إشارة إلى حضور المتلقيّ النّموذجيّ بحمولته النّقديّة.

إنّ الاهتمام بالمستوى المورفولوجي للّفظ هو إشارة إلى البُعد الصّرفيّ للمُفردة هذا بالاستعانة بالاشتقاق الّذي يُحمّل المفردة دلالة أعمق وأغزر وهو ما سيتأسس في علم لغويّ هو علم الصّرف وسيطرق العلماء من خلال باب النّقد اللّغويّ والأدبيّ بعد أن صار من الضّوابط المعياريّة في العربيّة. يقول ابن جنيّ: "وأمّا التّصريف، فإنّ أكثر اللّغة إنّما يعرف به، وبه يحتج وعليه يعوّل، إذ كان ميزان العربيّة وبه يفرّق بين صحيح الكلام وفاسده."[20]

إنّ الاهتمام بالمعياريّة العروضيّة، يجعل الشّاعر مطالب بتحقيق ذاك التّناغم الصّوتيّ الّذي تعودت الأذن الجاهليّة سماعه واستحسانه؛ حتّى إذا ما حاد المقول عن تلك المعياريّة ردّ إليها ونُبه إلى ما وقع فيه من نشاز صوتيّ. يقول ابن جني عن العروض ودوره في النّقد اللّغويّ: "والعروض ميزان الشّعر، يُعرف به صحيحه من فاسده كما يُعرف صحيح الكلام من سقيمه بالنّحو." [21]

إنّ تحديد الحقل المفهوميّ للصّيغة من أمثلة هذا استعمال صفات النّاقة للجمل والعكس وارد أيضا، هذا يُعدّ من انحرافا من قبل الشّاعر وعدم ربطه الصّيغة المعجميّة بما يناسبها من الصّيغ الّتي تقع معها في نفس الحقل وقوعا غير منسجم. وهذا عدّ في النّقد اللّغويّ خروجا عن

[18] ذم الخطأ في الشّعر، ص32.
[19] ذم الخطأ في الشّعر، ص16-18.
[20] الكتاب، ص45.
[21] المصدر نفسه، ص102.

مألوف القول. يقول الجواليقي: "هذا الكتاب ذكرت فيه ما يغلط فيه العامّة والخاصّة من الأسماء مما يُتكلّم به على غير ما وضعته العرب في لغتها."[22]

– النّقد اللّغويّ بين الوظيفيتيْن البيانيّة واللّغويّة:

وَجد الشّعر الجاهليّ نفسه ملتزما إلى حدّ الاختناق بقيود الشّكل اللّغويّ المتمثّل في الجانب العروضيّ والصّرف والإعراب. فكان لابدّ من إجازة استعمال بعض الظّواهر وإن كانت من القواعد المعياريّة للّغة. يقول قدامة بن جعفر في هذا: "فأمّا عذرهم للشّاعر في التّقصير واغتفارهم له العيوب، فقد جازوا له قصر الممدود وحذف الحركة وتخفيف الهمزة وصرف ما لا ينصرف، ما لم يجيزوه للمتكلّم وأجازوا له أيضا في الوزن استعمال الزّحاف والخرم وفي القافيّة الإكفاء والإقواء والسّناد والإيطاء والتّضمين وكلّ من العيوب."[23]

إنّ الجمال في نقد النُّصوص الشّعريّة لا تقتصر فقط على الانضباط لما وضع من معايير بل أيضا للجماليّة الفنيّة الّتي قد تُغطّي على ما في النّصّ من عيوب على المستوى اللّغويّ فأبو هلال العسكريّ يقول: "ينبغي أن تجتنب ارتكاب الضّرورات وإن جاءت فيها رخصة أهل العربيّة، فإنّها قبيحة تشين الكلام وتذهب بمائة... وإنّما استعملها القدماء في أشعارهم لعدم علمهم بقبحها ... وأن بعضهم كان صاحب بداية والبداية مزلة وما كان أيضا تنقد عليهم أشعارهم، ولو قد نقدت وبحرج منها المعيب كما تنقد على شعراء هذه الأزمة ويبهرج من كلامهم ما فيه ادنى عيب تجنوها.. كقول الشّاعر:

ألم يأتيك والأنباءُ تُنمي بما لاقت لبونُ بني زياد

فقال – الم يأتيك – فلم يجزم وقال ابن قيس الرّقيات:

لا بارك الله في الغواني هل يصبِحن إلاّ لهنّ مُطّلبُ

فحرك حرف العلّة وقال قعنب بن أبي صاحي:

مهلا أعاذل قد جربْت من خلقي إني اجودُ لأقوام وإن ضنِنُوا

وقول آخر:

إذا جاوز الاثنين سرٌّ فإنّه بنشر وتكثير الوشاة قمينُ

فقطع ألف الوصل."[24]

من خلال هذا القول لأبي هلال العسكريّ نلمس دليلا على أنّ اللّغويين قد خفّفوا من صرامة تلك الوظيفة إلاّ أنّ التقويم اللّغويّ لم يعد يذكر في متن النّصّ، وإنّما نزل على الهامش وذلك لاتّساع رقعة اللّحن ولنزوع لغة الشّعر المحدث على البحث عن حريّة أكبر في التّعبير. لكنّ كثيرين لم يرق لهم هذا من بينهم قدامة بن جعفر فانتقد تلك الوضعيّة قائلا: وربّما اغتفر في دهرنا هذا اللّحن والخطأ للإنسان في كلامه لكثرة اللّحن في النّاس، وأنّه فشا وعظم وفسدت الفصاحة بمخالطة العرب الأعاجم والأقباط وسائر الأجناس." [25]

إنّ تلك الفترة لم تشهد صرامة في ضبط القواعد اللّغويّة ومال بعضهم إلى البحث عن أعذار لتلك القواعد، رغم أنّها لم تكن كذلك في العهد بني أميّة، فكانت فترة صارمة ليس فيها مكان للتّسامح، حتّى وإن كان هذا اللّحن صادرا عن وال أو أمير: "وأمّا المواضع الّتي يجب أن

[22] الكتاب، ص12-13.

[23] مقدمة ابن سلم أو المقدمة في العروض، ص54-55.

[24] الشعر والشعراء، 58-59.

[25] ذم الخطأ في الشّعر، ص21.

يستعمل اللّحن فيها ويتعمّد له في أمثالها ويكون ذلك ممّا يوجبه الرأي فهو عند الرّؤساء الّذين يلحنون والملوك الّذين لا يعربون فمن الرأي لذي العقل والحنكة والحكمة والتّجربة إلاّ بعرب بين أيديهم."[26]

أمام انزياح الجانب اللّغويّ من نقد الصّناعة الأدبيّة تعالت الأصوات المناديّة بضرورة التّمييز بين الوظيفة البيانيّة والوظيفة اللّغويّة وإبانة الفرق بينهما، هو أنّ الأولى من صميم عمل النّاقد والثّانيّة ليست كذلك. وإنّما مجالها تقويم الألسن وتحسين الكلام. فميّز الكثيرون بين الوظيفتيْن من بينهم "السكاكي" في كتابه "مفتاح العلوم" فاعتبر الوظيفة الأولى من وظائف النّاقد اللّغويّ أمّا الثّانيّة فليست من الوظائف النّقديّة. يقول "الحاتمي" في كتابة "حيلة المحاضرة": "أخبرني عبد الله بن جعفر بن درستويه قال: أخبرني علي بن العباس النّوبختي قال: رأيت البحتري يوما ومعي دفتر فقال: ما هذا؟ قلت: شعر اليشكري. قال: وإلى أين تمضي؟ قلت: إلى ابي العباس ثعلب اقرأه عليه. قال:رأيت أبا عباسكم يستحسن شيئا وينشره، وما ذلك بأحسن الشّعر ولا بأفضله. قال: قلت: أمّا نقده وتمييزه فهذه صناعة أخرى، ولكنّ هو اعرف النّاس بإعراب الشّعر وغريبه."[27]

يقول شوق ضيف مفسّرا نهم النّقاد في الإقبال على الشّعر العربيّ القديم يقول: "إنّما جاءتهم هذه العصبيّة من وظيفتهم نقد كانوا يعدّون أنفسهم حماة اللّغة والحرسة على تراثها ولم يكن يهمهم من الشّعر إلاّ المثل والشّاهد في الأساس وكان ينبغي أن يفرّقوا بين الصّحة اللّغويّة والصّحة الفنيّة. فالشّعر ليس من أسباب جودته أن يكون موثوقا به من الجانب اللّغويّ، بل إذ ذلك أمر لا يهمّ إلاّ اللّغويين الّذين يريدون اللّغة نفسها أو يريدون النّحو والإعراب أمّا النّاقد فينبغي أن يفصلوا بين القيمة اللّغويّة والقيمة الفنيّة."[28]

2. تطوّر النّقد اللّغويّ في العصر الحديث.

مع ظهور المناهج النّقديّة الغربيّة الحديثة، كان لابدّ للنّقاد العرب من الاطّلاع عليها والتّعامل معها في معالجة النّصوص الأدبيّة وبقيّة فروع اللّغة كالنّحو والصّرف والدّلالة وغيرها. وكان لابدّ لهم من التّعامل معها التّعامل الحذر، فليست كلّ المناهج قابلة للتّطبيق على النّصوص العربيّة وليدة بيئة مختلفة تمام عن البيئة الغربيّة موطن المناهج النّقديّة الحديثة بمختلف نظريّاتها. "كان النّقد العربيّ يميل إلى المعياريّة ويقيس الكلام على ما يجب أن يكون، فإنّ النّقد الغربيّ الحديث يتبنّى المنهج الوصفيّ ويحلّل اللّغة كما تُستعمل فعلا فتنشأ فروق جوهريّة في الحكم على الأسلوب والفصاحة."[29] فلا بدّ من عدم الاعتماد على منهج نقديّ واحد، على الرّغم من غزارة هذه المناهج النّقديّة إلاّ أنّه يبدو لنا أنه لا وُجود لمنهج واحد غربيّ يمكن إسقاطه على النّصوص الأدبيّة العربيّة. والاعتماد عليه بشكل نهائيّ لتفسير النّصوص وتقييمها فظهر في السّاحة العربيّة ما يُسمّى بالمنهج العربيّ التّكامليّ للتّخفيف من حدّة الاضطراب بين المناهج النّقديّة وتعدّدت المحاولات لوضع آليّات واضحة لهذا المنهج، ويعدّ البحث محاولة لوضع هذا المنهج العربيّ في إطاره الصّحيح. فما المقصود صدقا بالمنهج العربيّ النّقديّ التّكامليّ؟

– آليات المنهج النّقديّ التّكامليّ العربيّ:

استطاع المنهج النّقدي التّكامليّ استقطاب الكثير من رواد النّقد العربيّ من بينهم: سيد قطب، شكري فيصل، طه حسين، شوقي ضيف، إبراهيم عبد الرّحمن، نعيم اليافي... ومن المراجع الّتي وصلت إلينا يبدو أنّ "سيد قطب" من أوائل الّذين استعملوا هذا المصطلح النّقدي "المنهج النّقدي التّكامليّ" ودعا ونظّر إليه من خلال كتابه "النّقد الأدبيّ أصوله ومناهجه"، وكان ذلك في أربعينات القرن الماضي إلاّ أنّ ما يُعاب على عمله هذا أنّه لم يحدّد خطوات المنهج التّكامليّ، ولم يوضّح طريقة عمله التّكامليّة. ثمّ جاء بعده "شكري فيصل" بعد سنتين تقريبا وقدّم في مذكرة بحث الماجستير الخاصّة به طرحا مفاده ضرورة التّداخل والتّكامل بين المناهج النّقديّة؛ لإنتاج ما يُسمّى بالمنهج النّقدي التّكامليّ العربيّ. وكان ذلك من خلال عمليّة انتقائيّة للمناهج الغربيّة. ثمّ جاء من بعده "طه حسين" متحدثا عن هذا المنهج التّكامليّ قائلا: "نحن لا نعتمد

---

[26] المصدر نفسه، ص 22.

[27] الشعر والشعراء، ص76-77.

[28] مقدمة في النقد العربي، 57.

[29] النقد الادبي الحديث: قضاياه ومناهجه، ص15-20.

على اللّفظ وحده، ولا نعتمد على المعنى وحده، ولا نعتمد على اللّفظ والمعنى، وإنّما نعتمد على اللّفظ والمعنى وعلى أشياء أخرى فنيّة وتاريخيّة ومن جملة هذه الأشياء نستخلص لأنفسنا قياسا يُقرّب إلينا صواب الرّأي." ومن الأمور الأخرى الّتي تجعل من طه حسين يقترب من مفهوم التّكامليّة في النّقد، أنّه دعا النّاقد إلى أن يكون مطّلعا على القديم والحديث وعنده القدرة على قراءة التّاريخ وله ثقافة واسعة وممارسة الإجراءات النّقديّة لا الاكتفاء بالتّنظير فحسب.

سُرعان ما ظهرت في السّبعينات والثّمانينات دراسات تناولت المنهج التّكامليّ أو اقتربت منه منها دراسة "شوقي ضيف في كتابه "البحث الأدبي" حيث قال فيه: "إنّ الباحث الأدبي الحديث ينبغي أن يستضيء في عمله بكل المناهج والدّراسات السّابقة، إذ لا يكفي منهج واحد ولا دراسة واحدة لكي ينهض بعمله على الوجه الأكمل، بل لابدّ أن يستعين بها جميعا، فلابدّ أن يتحوّل عقل الباحث إلى ما يشبه مرآة تعكس أضواء كلّ تلك المناهج."[30] ثمّ جاء بعده "إبراهيم عبد الرّحمن" الّذي حدّد عناصر النّقد التّكامليّ مثل استناد النّصّ إلى الواقع الذّاتيّ والاجتماعيّ والطبيعيّ وانفتاحه على أشياء أخرى، ومن ثمّ إعادة تشكليه فنيّا؛ لأنّ المنهج التّكامليّ في جوهره لا يقوم على التّناقض مع المناهج القديمة والحديثة، وإنّما يتعامل معها بشكل شموليّ في إطار الوحدة. إنّ من مظاهر التّطوّر أن صار النّقد يعتمد على المناهج الحديثة من بينها النّظريات الدّلاليّة.

إنّ من بين المفاتيح الخمسة الإجرائيّة للنّقد التّكامليّ ذكرها "سيد قطب" في أربعة نقاط:

1: تقويم العمل الأدبي من النّاحيّة الفنيّة، وبيان قيمته الموضوعيّة لأنّ الذّاتيّة في تقديم العمل الأدبيّ هي أساس الموضوعيّة فيه، ومن العبث محاولة تجريد النّاقد وهو ينظر إلى العمل الأدبيّ من ذوقه الخاصّ، وميوله الذّاتيّة واستجابته الذّاتيّة، فهذا العمل وهذه التّجارب تعود إلى تجاربه الشّعوريّة السّابقة بقدر ما ترجع إلى العمل الأدبيّ نفسه.

2: من الضّروريّ التّأريخ للعمل الأدبي وتصنيفه أي تحديد خطّ سير الأدب الطّويل، ونحدّد ما قدّم من إضافة للتّراث الأدبيّ في لغته وعلينا أن نحدّد إن كان هذا النّموذج نموذج جدي أم أنّه ينتمي إلى نماذج سابقة مع شيء من التّجديد ربّما. من الأمور الّتي علينا الانتباه إليها "أنّ اللّغة حيّة تتغيّر وما كان فصيحا في عصر قديم قد يختلف عن الاستعمال الحاليّ، والنّقد اللّغويّ يحتاج إلى هذه النّظرة التّاريخيّة."[31]

3: من الضّروريّ علينا تحديد تأثر وتأثير العمل الأدبيّ بالمحيط ذلك التّقويم الكامل للعمل الأدبيّ من النّاحيّة الفنيّة بالإضافة إلى النّواحي التّاريخيّة، فمن الضّروريّ أن نعرف ماذا أخذ الأدب من البيئة وماذا أعطاها. وهو ما يُسمى بمدى الاستجابة العاديّة للبيئة. "الأدب مرآة المجتمع يتأثر بما يحيط به من ظروف وعادات وفي الوقت نفسه يؤثّر على الذّوق والفكر فلا ينفصل عن محيطه الزّمني والثّقافيّ."[32]

4: من خلال العمل الأدبيّ نعرف سمات صاحبه وبيان خصائصه الشّعوريّة والتّعبيريّة وكشف العوامل النّفسيّة الّتي اشتركت في تكوين هذه الأعمال الأدبيّة.

نستنتج من كلّ هذا أنّ المنهج النّقديّ التّكامليّ جامع لكافة المناهج النّسقيّة والسّياقيّة ليس بالاعتماد على خطوات علميّة لا تتناسب وطبيعة الفن، وإنّما تعتمد على ذات إنسانيّة متمثّلة في النّاقد الأدبيّ؛ لأنّ التّعامل في الأصل هو تعامل مع منتج فنيّ إبداعيّ إنسانيّ. لكن هذا المنهج لا يخلو من إشكاليات تحول دون تطبيقه في كثير من المواقف.

-إشكاليات تّطبيق المنهج النّقديّ التّكامليّ العربيّ.

هل من المعقول أن يعتمد عرب على منهج لم يكتمل بعد؟ فالمنهج العربيّ التّكامليّ لم يكتسب صفة الكمال من حيث اكتمال آليات عمله، فالأمر ليس مرهونا فقط بجمع إيجابيات مناهج مختلفة لنطلق عليها صفة المنهج التكاملي، وكي نخرج من هذا المأزق لا بدّ من:

الأدوات واضحة جليّة المعاني؛ لأنّ هذا الجزء المأخوذ بهدف تكوين منهج تكامليّ عربيّ هو بالأساس جزء من منهج آخر قائم الذّات، فالعودة إلى المنهج الأمّ أمر ضروريّ.

---

30 التعددية المنهجية في النقد الادبي، ص10

31 تيسيرات لغوية، ص17-18.

32 المرجع نفسه، ص17-18.

ستتضارب المناهج فيما بينها بالنّظر على وجهة نظر كلّ ناقد وذلك تبعا لزاوية نظره، وبالتّالي يظلّ مبدأ التّكامل غير مكتمل لأنّ كلّ منها قائمة على ذاتيّة الاختيار. فالفروق بين ناقد وآخر حاصلة بالضّرورة. فالنّقد ليس بالعلم الثّابت كالرّياضيات والفيزياء، إنّما هو يعتمد بالأساس على الوجدان والحقائق الوجدانيّة وهي غير خاضعة للدّقة العلميّة. فمن حقّ الناقد أنّ ينتهج ما يجده معينا على إصدار أحكام تقترب من الكمال. الكثير من النّقاد يقرون بعلميته من بينهم "تيري ايجلتون" أستاذ الأدب الانجليزيّ وكي يكون كذلك لابدّ من أن نُكرّس له أكبر قدر من المنهجيّة. والحقيقة أنّنا ومهما كان ادّعاؤنا بأنّ النّقد علم يجب أن نتوقّف عند إمكانيّة أن يكون المنهج النّقديّ هو سبب علميّة النّقد. فاللّغة العلميّة لغة نفعيّة تسعى إلى توصيل معاني محدّدة، ومن ثمّ فهي تخاطب العقل بطريقة مباشرة. ولو نظرنا في تعريف الأدب للاحظنا أنّ هذا غير متوفّر، فلغة الأدب لا تسعى إلى معان محدّدة وبالتّالي هي ضدّ النّفعيّة ولا تخاطب العقل فقط، وإنّما تخاطب الوجدان أكثر من مخاطبتها للعقل، يعرّف الأدب بأنّه خيال او تخيل وبالتّالي فإنّ إخضاعه إلى النّقد الأدبيّ ولنسق علميّ محدّد الأدوات والمعادلات يتنافى تماما مع التّأثيرات الذّوقيّة والرّؤى الوجدانيّة. من خلال هذا الطرح نقول ان النّقد عمليّة إبداعيّة لا علاقة لها بصرامة المناهج العلميّة.

– النّقد اللّغويّ بين النّحو والدّلالة:

لم يعد النّقد اللّغويّ منفصلا عن الدّرس النّحويّ، بل تداخل معه تداخلا عميقا غير أنّ بعض العلماء تجاوزوا الشّكل النّحويّ إلى البعد الدّلاليّ، كما نلمس هذا عند عبد القاهر الجرجانيّ، والّذي يقول في كتابه "دلائل الإعجاز": ليس النّظم إلاّ أن تضع كلامك الوضع الّذي يقتضيه علم النّحو، وتعمل على قوانينه وأصوله." وهذا القول يعني أنّ الجرجاني يدعو إلى النّقد اللّغويّ الدّلاليّ، إذ يجعل صحّة التّركيب مرتبط بتحقيق المعنى لا بمجرّد السّلامة الإعرابيّة، وهنا يتطوّر النّقد اللّغويّ من معيار الشّكل إلى معيار الوظيفة الدّلاليّة. ."فالنّقد اللّغويّ لا يقتصر على الصّرف والنّحو فقط، بل يشمل الدّلالة إذ إنّ فهم المعنى الصّحيح والمراد من اللّفظ شرط أساس للحكم على صحّة الكلام وفصاحته."[33]إنّ من بين التّحوّلات في النّقد اللّغويّ المعاصر إعادة النّظر في مفهوم الصّواب والخطأ وتأثر النّقد باللّسانيّات الحديثة خاصّة:

بعلم الدّلالة

التّداوليّة

علم اللّغة الاجتماعيّ.

والمقصود بهذا أنّ التّحوّل في النّقد اللّغويّ حاصل من تقويم الأخطاء واللّحن إلى الفهم والتّفسير، يقول أحمد أمين: "وكان حرصهم على اللّغة حرص حارس على كنز لا حرص مزارع على شجرة ناميّة." وإلى جانب الدّلالة نلاحظ تطورا في النّقد اللّغويّ بالاستناد على مخرجات التّرجمة والمثاقفة بين الشّعوب، فكيف ذلك؟

مع بدايات السّتينات من القرن العشرين، انتشرت ظاهرة المثاقفة والتّرجمة وصار معها الاطّلاع على المناهج الغربيّة أمرا سهلا ميسّرا. ومكّنت ترجمات العديد من العلماء عامّة النّقاد من أن يطّلعوا على ما لم يكن لهم أن يطّلعوا عليهم لولا حسين الواد وعبد السلام المسدس وصلاح فضل وموريس أبو ناضر وكمال أبو ديب وجميل المرزوقي وجميل شاكر وسعيد يقطين وآخرون ،كلّ هؤلاء ساهموا في نقل المناهج الحديثة والمعاصرة كالبنيويّة اللّسانيّة والبنيويّة التّكوينيّة الّتي تجمع بين الفهم والتّفسير لتشكّل تماثلا بين البنية الجماليّة المستقبليّة والبنية المرجعيّة، كما نظر لها لوسيان كولدمان وسيتبناها من بعد محمد بنيس وجمال شحيذ ومحمد برادة وطاهر لبيب وحميد لحمداني وسعيد علوش وإدريس بلمليح وعبد الرحمن بو علي وعيسى بوحمالة... ثمّ تعدّت المناهج النّقديّة اللّغويّة والأدبيّة حسب ميولات النّاقد نفسه.

[33] فصول في اللغة والنّقد، ص308.

المبحث الثّاني: اتّجاهات النّقد اللّغويّ المُعاصر[34].

نحن نروم من خلال هذا الجزء من البحث أن نعرض نقد المسارات التّحوليّة للمعرفة والمنهج المعاصر للنّظريّات اللّسانيّة وتطبيقاتها في تحليل الظّاهرة اللّغويّة، ومن ثمّ التّطرّق إلى أبرز تجلياتها في البحث اللّسانيّ العربيّ تمثّلا نظريّا واستثمارا في ميادين وصف اللّغة العربيّة لسانيّا وخاصّة الجوانب المتعلّقة بالاستعمال والتّعلميّة وصناعة منتهاها المعجميّ والنّصيّ.

1- الاتّجاه المعياري.

تُعرّف المعياريّة بأنّها عمليّة نقديّة على أساس قواعد لغويّة صارمة تهدف إلى التّحقق من سلامة النّصّ وصحّته أي معيار الصّواب والخطأ وجماليته ؛أي معيار الجودة والرّداءة لكنّ هذا المعيار سُرعان ما أخذ يتلاشى ؛لأنّ اللّغة كائن حيّ ينمو ويتطوّر باستمرار مع ظهور المناهج الحديثة القادرة عل تحليل اللّغة وتراكيبها ومعانيها ووصفها وصفا دقيقا بعيدا عن القوالب الجاهزة من بينها البنيويّة والتّداوليّة والسّيميائيّة وبالتّالي هُناك قطع مع القديم وما كان يرتكز عليه من آليات عقلية للبرهنة والاستدلال بقواعده الصّارمة. يقول أحمد امين: "وكان اللّغويون الأوائل لا يصفون اللّغة كما هي في افواه النّاس وغنّما يقيسونها على ما يجب أن تكون عليه فيحكمون بالصّواب والخطأ."[35]

2. الاتّجاه الوصفيّ.

إنّ من بين المناهج اللّسانيّة الّتي اعتمدها العرب كأداة لسانيّة علميّة لمحاورة التّراث العربيّ هو المنهج البنيويّة الوصفيّة، فكان لهذا المنهج في النّقد الأثر الكبير على جوانب التّراث اللّغويّ العربيّ من خلاله أرادوا إعادة الحياة في التّراث اللّغويّ عامّة والنّحويّ منه خاصّة، فأعادوا النّظر في العديد من القضايا اللّغويّة قصد تقييمها أو إلغائها إلغاء تامّا واقتراح البديل عنها في ضوء إفرازات اللّسانيّات الغربيّة الحديثة. وبناء على ما تقدّم يمكن طرح عدّة أسئلة منها:

ماهي أهم جوانب النّقد الّتي ركّز عليها الوصفيون العرب في نقدهم للنّحو؟

وماهي المقترحات الّتي ارتضوها بديلا؟

وإلى أي مدى وُفّقوا في تقويم النّظريّة النّحويّة العربيّة؟

بعد ظهورها في مطلع العشرينات مع دي سوسير، ظهرت التّجربة العربيّة في التّعامل مع المنهج الوصفيّ النّقدي في أربعينات القرن ذاته وذلك بعد عودة الأساتذة المبعوثين من بلدانهم إلى الجامعات الغربيّة معقل النّظريّة الوصفيّة بعد أن تشبّعوا بما وجهود هناك من ثورة لسانيّة. من بين هؤلاء عودة "أنيس إبراهيم" عام 1941م والذي انكبّ على دراسة أصوات العربيّة من زاوية نظر لسانيّة جديدة وألّف كتابا اسمه " الأصوات اللّغويّة" وكتابا ثان "في اللّهجات العربيّة" ثمّ تلته العديد من الحركات في صفوف تلاميذه من بينهم "تمام حسّان" و"كمال بشر" و"عبد الرّحمن أيون" و"محمود السّعران" وغيرهم. وهذا الجيل الممتد يمكن أن نصفه بجيل الوصفيّة العربيّة لما بذلوه من مجهودات في ترسيخ هذا المنهج النّقديّ على التّراث اللّغويّ والنّحويّ العربيّ.

إنّ من بين المسائل الّتي تناولها المنهج النّقديّ الوصفيّ نذكر:

- أقسام الكلم: نجد في كتاب "من أسرار اللّغة" للدّكتور "إبراهيم أنيس" طعنا واضحا للتّقسيم القديم لأفعال الكلام، بسبب تأثر ذاك التّقسيم بالمنطق الأرسطي وهذا ما جعل تعريفاته ناقصة في نظره وبعدما عرض جوانب الخلل في تعريفات القدماء للاسم والفعل والحرف واقترح أسسا جديدة بنى عليها تقسيمه الجديد للكلم وقد حدّد أسس تقسيمه الجديدة في: المعنى والصّيغة ووظيفة اللّفظ في الكلام. واعتمد هذا

---

[34] بدأ النقد اللغوي المعاصر يتبلور بشكل واضح في القرن العشرين مع انتشار مدارس النقد العلمي واستفادة النقاد من مناهج علم اللغة الحديث والتحليل الاسلوبي كما برز ذلك في اعمال البلاغيين واللغويين الذين دمجوا بين التحليل اللغوي والمنهج النقدي.

[35] النقد الادبي، ج15/1

الرّأي في تقسيمه الجديد للكلم تقسيما رُباعيا: الاسم والضّمير والفعل والأداة. يقول إبراهيم أنيس سابق الذّكر: "النّقد اللّغويّ الحديث لا يقتصر على الحكم بالصّواب والخطأ بل يصف الواقع كما هو ويحلل أنماط الاستعمال دون تقويم مسبق."[36]

- نظريّة الإعراب والعوامل:

يقول ابن جني مبرزا دور هذه النّظريّة في النّقد اللّغويّ يقول: " الإعراب يدلّ على صحّة الكلام وتمامه فغن علمت إعراب الكلمة عرفت مدلولها واستقامتها في الكلام فصار الإعراب ميزانا للعالم والفصيح من السّقيم والملتبس."[37] . قد لاقت هذه النّظريّة نقدا لاذعا من الوصفيين جميعهم وذلك لمرجعيتها الفلسفيّة أيضا فقد اجتهدوا في دحض أطروحاتها واستبدالها بنظريّة أخرى أنجع وأفضل لوصف العربيّة. من هذا ما عرضه إبراهيم أنيس تحت باب كبير عنوانه "قصّة الإعراب" من كتابه " من أسرار العربيّة" وكان ملخص رأيه أنه ليس للحركات الإعرابيّة أي مدلول، بل هي ضرورة صوتيّة يقتضيها الوصل بين الكلمات. كما طعن الدّكتور "عبد الرحمن أيوب" في نظريّة الإعراب استنادا إلى حجة أن القدماء أخذوا نظريتهم من نظريّة افلاطون في الموجودات. كما لم يقبل "أيوب" أيضا قول القدماء أن علامات الإعراب أعلام على معان، وعدّ تبريرهم لإعراب الكلمات فاسدا لأنّه يستند إلى علل منطقيّة فاسدة. كما استغرب الدّكتور "تمام حسان" من اعتماد العرب القدماء على الإعراب لتحليل الجملة، وأكّد أنّ هُناك قرائن أخرى تعين على تحليل الجملة وتكاد تكون ناجعة أكثر من الحركات الإعرابيّة الّتي وضعوها وقيدوا أنفسهم بها واستبدلها بنظريّة أخرى أسماها " نظريّة تضافر القرائن" ومن بين هذا القرائن: القرائن المعنويّة كقرينة الإسناد وقرينة التّخصيص وقرينة النّسبة وقرينة التّبعيّة. أمّا القرائن اللّفظيّة فمن بينها: العلامة الإعرابيّة والرّتبة ومبني الصّيغة والمطابقة والرّبط والتّضام والأداة والنغمة..

– 3. الموازنة بين المعيار والاستعمال.

تقوم الموازنة بين المعيار والاستعمال في النّقد اللّغويّ على وعي منهجي بطبيعة اللّغة بوصفها نظاما صارما من القواعد النّحويّة والصّرفيّة دون ان نتغافل على اعتبارها كائنا حيّا خاضعا لتطور المجتمع وحيويته وهو ما يعبّر عنه بالاستعمال الاجتماعي التّداوليّ. وقد أدرك النّقاد العرب هذه الجدليّة منذ وقت مبكّر فكانوا يقرون بالمعيار بوصفه أداة لتقويم والحفاظ على سلامة اللّسان دون أن يعزلوا الاستعمال عن دائرة الاعتبار، بل على العكس من ذلك رأوا فيها حيوّة للغة واستمراريّة لها بمواكبتها كلّ جديد. وفق هذا لم يعد يعتبر الخروج على القاعدة انحرافا بل يسعى إلى إقامة توازن دقيق يفهم فيه القاعدة في ضوء الشّواهد والسّماع معا. فالنّقد اللّغويّ الحديث فعلا تفسيرا وتقويما مزدوجا يحفظ للنّظام اللّغويّ انسجامه ويمنح الاستعمال المشروعيّة بكونه مصدرا من مصادر تقعيد اللغة وتطويرها. فابن جني من كبار نقاد البلاغة واللغة في التراث العربي يوضّح اهميّة المعيار اللّغويّ في تقديم الحكم على استعمالات الكلام وفهمها وضبطها بحسب قواعد اللغة والبلاغة وهو بهذا يوازن بين ما ورد استعمالا في النص وبين ما يُقاس عليه من قواعد ومعايير اللغة باعتبارها أساسا لضبط الاستعمالات وتأويلها. يقول شوقي ضيف: " لا يمكن الحكم على صواب الأسلوب او خطئه إلاّ بالرّجوع على معيار لغويّ مضبوط وإلاّ استحال النّقد واضطرب الحكم." [38]

المبحث الثّالث: آليات النّقد اللّغويّ.

تتعدّد طُرق ومناهج النّقد اللّغويّ بتعدّد قضاياه وموضوعاته فاعتمدوا بداية على العُدّة النّحويّة والصّرفيّة لتقويم الشّعر وما فيه من لحن، واتّجه الآخرون إلى علم العروض والموسيقى والبحور الشّعريّة للوقوف على النّشاز الحاصل في الإيقاع وقياس جودة النّغم.

–1. الخطأ والصّواب.

يعتبر هذا المقياس من أكثر المقاييس اطّرادا في النّقد اللّغويّ فبما أنّ اللّغة كائن حيّ ينمو ويتطوّر كان لابدّ من قوانين تحكمه فكانت القوانين الاجتماعيّة فلا يسمح مثلا دخول تراكيب غير دارجة فيها أي لا يسمح لألفاظ وتراكيب مرفوضة بالدّخول في معجم صواب اللّغة،

---

[36] النقد اللغوي والدراسات اللسانية الحديثة، ص45.

[37] الخصائص، ص89.

[38] في النقد الادبي، ص42.

وهكذا يُسلِب من قياس الصّواب صفة الثّبات. يتكفّل المجتمع بحراسة معيار الصّوابيّة وله في الوقت نفسه أن يبدع في اللّغة فكان الإنسان المنتج للغة، وكان هذا الفرد إلى جانب كونه خاضعا للمستوى الصّوابيّ خالقا له ومشتركا في القيام به، وبهذا يكون من المحتمل بالنّسبة للفرد أن يكون مؤثّرا ومتأثرا بالنّسبة للمستوى الصّوابيّ. من معايير الخطأ والصّواب.

- أ: معايير ثابتة لا يختلف عليها اثنان، ولا يدخلها التّغيير لأنّها تمسّ ثابتا لغويّا يمثّل عمود اللّغة، نحو اشتقاق اسم الفاعل ورفع المبتدأ ونصب المفعول به ...
- ب: معايير تنتمي إلى مذهب لغويّ ونحويّ يؤمن بأنّ ما يذهب إليه هو الثّابت الصّحيح وهذا يمثّل المذاهب الكوفيّة والبصريّة والبغداديّة.

يُعرف هذا النّوع من النّقد بتصويب الأخطاء اللّغويّة ويتناول فيه تصحيح لغة التّأليف أي النّصّ المنجز فتصويب الأخطاء اللّغويّة الّتي يقع فيها المؤلّفون والكتّاب، وإلى ذلك اشتهرت فيما بعد وإلى يوم النّاس حاضرة بيننا مهنة "المصحّح اللّغويّ" أو "المدقّق اللّغويّ"[39] ولا يقصد بالتّصويب اللّغوي ذلك الّذي يأتي النّصّ فيقول "قل ولا تقل" بل نعني تلك الأخطاء الّتي تصيب المبتدأ والخبر والصّفة والموصوف وخبر كان وخبر إنّ مقدّما ومؤخرا وفي التّمييز وفي جمع التّكسير وجمع السّالم والتّثنيّة وفي المجرورات وغيرها وهي كلّها من الأبواب النّحو والإعراب. وقد لا يكون الكاتب هو مصدر الخطأ اللّغوي فالكثير من الأخطاء تكون "أخطاء مطبعيّة" مسؤولة عنها دُور النّشر. لذلك قد نجد البعض من المؤلفات تسحب من الأسواق لتعديل بعض الأخطاء المطبعيّة بعد أن تسرّبت إلى النّسخ بعد النّشر.

من بين أولئك الّذين تمثّلوا هذا المعيار النّقديّ نذكر الدّكتور نعمة رحيم العزاوي فذكر معايير الجودة والرّداءة في التّراكيب النّحويّة وقد جمع ما تفرّق منها وفق المعايير الآتيّة:

- الانتساب: ويعني انسجام أصوات الجملة فلا يتكرر فيها حرف أو يتقارب مخارج الصّوت تقاربا يكسب السّلسلة النّطقيّة ثقلا أو تكرار أفعال وأسماء معيّنة.
- موسيقى التّركيب الّتي تتكوّن بالازدواج والتّوازن والسّجع والتّرصيع.
- الوضوح والغُموض.
- وحدة الانسجام: وهو مجيء الألفاظ في التّراكيب على صفة واحدة.

ونستنتج من كلّ هذا أنّ معايير الجودة والرّداءة تدور حول انسجام الألفاظ معنى وموسيقى ومقاما وذلك لأنّ النّصّ لا يُوسم بالاتّساق ما لم تتضافر مستويات اللّغة وقوانينها في إنتاجه. من بين الأمثلة الأكثر دلالة على ما سبق مسألة الحركات الإعرابيّة إن غيّرنا فنحن نُغيّر موضع الكلمة داخل النّظم وبالتّالي تغيّر المعنى من ذلك قول أبي النّجم العجلي:

قد أصبحت أمُ الخيار تدّعي عليّ ذنبا كلّه لم أصنع

فعندما يذهب الشّاعر على النّصب على تقديم المفعول به يقول: كلّه لم أصنع، فذلك يقتضي أن يكون قد أتى من الذّنب الّذي ادّعته بعضه. أمّا الرّفع فيجعل من الشّاعر معتمدا على الثّوابت النّحويّة في التّركيب (مبتدأ+ خبر وذلك ما يرده الشّاعر ويشير إلى أنّها (تدّعي عليه ذنبا لم يصنع منها شيئا البتّة لا قليلا ولا كثيرا ولا بعضا ولا كلّا) على عكس النّصب الّذي يمنع هذا المعنى.

2-. القياس والسّماع.[40]

يُعرّف السّماع والقياس في علوم اللّغة بأنّ السّماع هو تلقي اللغة مباشرة من العرب الفصحاء (قرآن، حديث، شعر، أقوالهم)، وهو المصدر الأساسي. أمّا القياس هو استخدام العقل لتقدير حكم لغويّ جديد على ما ورد سماعًا، بناءً على علة مشتركة بين الأصل والفرع، وتكون

---

[39] تعد وظيفة المصحح اللغوي او مدقق النصوص مهنة قديمة تعود الى ما قبل عصر الطباعة اذ كان في ديوان الرسائل في العصر الإسلامي من يعين شخصا للتدقيق في الأخطاء اللغوية والنحوية في الرسائل والمكاتبات الرسمية وكان لذلك راتب من الخزانة كما ورد ذلك في نصوص تراثية تنسب الى ابن بابشاذ.

[40] يرى النقاد النحويون ان السماع هو الاخذ المباشر للمادة اللغوية من الناطقين بها وهو الحجة الأولى في تقرير صحة القاعدة بينما القياس هو اسقاط المعقول على المسموع في غير موضعه المباشر.

القاعدة "إذا ورد السماع بطل القياس"، مع وجود استثناءات ومواضع يُجعل فيها القياس أولى من كثرة السماع. ومن شروط السّماع تقسيم الرّقعة الجغرافيّة فلغة البدو أنقى فصاحة من لغة أهل الحاضرة، والعامل الزمني أيضا فالفترة التي جمع فيها النحويون قواعد اللغة العربيّة بداية من القرن الرابع قبل الهجرة الى القرن الرابع بعدها. ذلك أنّهم يحتجون بكلام الزباء وجذيمة والأبرش وأعصر بن سعد ويحتجون أيضا بكلام عمارة بن عقيل وأبي عبد الله الشجري ومن عاصرهما من أعراب القرنين الثالث والرّابع. والقياس في اللّغة نوعان: قياس شبيه بالفطرة وهو الّذي يحذو فيه الفرد حذو غيره من أبناء الجماعة النّاطقة بنفس اللّسان، وقياس خاصّ بالنّحاة واتّسمت به مدرسة البصرة خاصّة. يقول ابن جنّي: "ما قيس على كلام العرب فهو من كلام العرب، وما سمع منهم فهو الحجة وإنما يُقاس على اطّرد واستقام."[41]

ومن المتعارف عليه أنّ النّاقد يتناول في نقده مستويات الهرم اللّغويّ جميعها بحيث يقوم النّاقد اللّغويّ بإخضاع النّصّ لمقاييس اللّغة. فيصدر على النّاقد ما كنّا أشرنا إليه سابقا إمّا حُكما بالرّداءة أو الجودة أو الحكم بالصّواب والخطأ ومن الأسئلة الّتي علينا أن نطرحها هنا هو: ما مدى ثبات المقياس اللّغويّ النّحويّ؟ وما نوع العلاقة بين المقاييس النّحويّة والنّصّ الأدبيّ المنتج؟ وهل نفس المقياس اللّغوي تعرض عليه النّصوص الأدبيّة السّاميّة والكلام اليومي العادي؟

عندما نتحدّث عن ثبات المقياس اللّغويّ النّحويّ نحن نقرّ بأنّه حاصل بالضّرورة وقد فرّق النّقاد بين قوانين الألفاظ المركبة الخاصّة بكلام الجماعة اللّغويّة والقوانين اللّغويّة الخاصّة بالنّصّ الأدبيّ، فلكلّ منها قوانينه البنائيّة وثوابته ومثل هذا قد يقوم الشّاعر بكسر نظام الإمكانات اللّغويّة، وذلك لزيادة عدد الدّلالات الممكنة. فمن المتعارف عليه أنّ الكلام لا تحصل منافعه الّتي هي الدّلالات على المقاصد إلاّ بمراعاة أحكام النّحو من الإعراب والتّرتيب الخاصّ غير أنّه مسموح للمبدع أن يتصرّف في القواعد النّحويّة لإبانة المعنى وتوضيح الدّلالة، ولا يتمّ هذا فعليّا إلاّ من خلال تجاوز القواعد النّمطيّة المطّردة في الأشكال والأبنيّة اللّغويّة المعياريّة. وفي هذا إقرار بالضرب بمقاييس اللّغة عرض الحائط من بين الأمثلة على هذا قول الشّاعر:

حتّى لحقنا بهم تعدّى فوارسنا كأنّنا رعن قف يرفع الآلا.

فقد اعترض الكثيرون عن رفع المفعول به (رعن قف) ونصب الفاعل (الآلا) وهذا عند العلماء من المقلوب. فأصل الكلام (كأنّنا رعن قف يرفعه الآلُ) أمّا ابن جني فيرى أنّ الشّاعر في نصبه الفاعل ورفعه المفعول به أتى " على سُمت من القياس، ومطرب متورد بين النّاس. وذلك لأنّه أتى بعلّة رفع الفاعل ونصب المفعول به، وهي علّة الفرق وأنّ الشّاعر أعمل المعنى فكأنّ (رعن قف) الفاعل بالمعنى، وهو الّذي نصب (الآل).

– 3. الشّيوع والاستعمال.

إنّ الشّيوع والاستعمال من مبادئ تعلّم اللّغة العربيّة، وذلك بالنّظر في الجانب الاستعماليّ للّغة فالتّركيز هنا على الجانب التّطبيقيّ منها، وهو ما يُعرف بالوضع وكيف تتغير الألفاظ وتتطوّر بالاستخدام اليوميّ المتكرر حتّى تصير من القاعدة ولم تكن كذلك من قبل. وهذا يؤثّر على المعنى، وهو ما يُعرف بالتّداوليّة والاستعمال اللّغويّ هو المادّة الخامّ الّتي تدرسها اللّسانيّات الحديثة لفهم بنية اللّغة ووظيفتها في التّواصل البشريّ. ومن النماذج الّتي طُبق فيها مبدأ الشّيوع والاستعمال ما أقرّته مجامع مختلفة من بينها مجمع اللّغة العربيّة بدمشق في العديد من الحالات من بينها:

- جواز قولهم: برّرّ وتبرير.

المسألة: يشيع في الاستعمال اللّغويّ المعاصر الفعل (برّرّ) بمعنى سوّغ أو علّل وكذا مشتقاته من نحو (تبرير ومبرّر) ويخطئها بعضهم لأنّه ليس للفعل هذه الدّلالة في المعاجم القديمة.

القرار: جواز قولهم (برّر) بمعنى سوّغ أو علّل وإضافة هذه الدّلالة على المعجم.[42]

- جواز قولهم: بُهِت وباهِت

---

[41] الخصائص، ص356.

[42] (مجلة مجمع دمشق مجلد 1/88)

المسألة: يشيع في الاستعمال اللّغويّ المعاصر الفعل (بَهِت) واسم فاعله (باهِت) بمعنى اللّون الّذي فقد لمعانه أو شحب، ولم ترد لهما هذه الدّلالة في المعاجم القديمة.

القرار: جواز قولهم (بَهِت اللّون) بمعنى شّحب، وفقد لمعانه وزهوه، وكذا (باهِت) بمعنى شاحب وفاقد اللّمعان، وإضافة هذه الدّلالة إلى المعجم.[43]

- جواز قولهم: البالة

المسألة: يطلق المحدثون كلمة (البالة) على حزمة الثّياب المستعملة، او على الثّياب المستعملة المستوردة غالبا، ويخطئها بعهم لأنّه ليس للكلمة هذه الدّلالة في المعاجم القديمة.

القرار: جواز قولهم (البالة) بمعنى حُزمة الثّياب أو الثّياب المستعملة وجمعها (بالات) وإضافتها على المعجم.[44]

خاتمة الفصل:

حاولنا من خلال هذا الفصل الأوّل ضبط المفاهيم الأساسيّة لبحثنا هذا، فعرّفنا النّقد عامّة والنّقد اللّغويّ خاصّة، ونظرنا في توجّهاته وآليات عمله ومعاييره الّتي يتعامل بها مع الظّاهرة اللّغويّة، كما اقتفينا أثر تطوّر النّقد اللّغويّ انطلاقا من التصورات القديمة وصولا الى الحديثة منها، وأبرزنا اللّسانيّات الغربيّة في العملية النقدية والّتي ألقت بظلالها على النّقد اللّغويّ من بين الاستنتاجات التي وصلنا اليها ما يلي:

استطاع علماء اللّغة أن يظهروا حسّا نقديّا بالغ الأهميّة مزجوا فيه من خلال نقدهم للظّواهر اللّغويّة في النّصوص الأدبيّة بين المعطيات اللّغويّة بدرجة أولى المحتكمة إلى المعايير العلميّة، والمعطيّات الأدبيّة الجماليّة الّتي لها صلة بطرق تصريف المعنى وإبرازه في أعمق دلالة. وكان هذا في بعض الأحيان يتعارض مع بحثهم عن "الحكمة" حكمة اللّغة واستثمار إمكانياتها في التّعبير، ونحن نرى الكثير منهم يجتهدون في إخضاع القاعدة للشّاهد الشّعريّ أو النّثريّ وآخرون منهم تراهم لا يكتفون بالتّأويل ويتحوّلون إلى إعادة كتابة ثانية له أي أنهم يبحثون عن المعنى البعيد للسّياق اللّغويّ الّذي يبدو سطحيّ الدّلالة.

إنّ ما كان يميّز النّقد اللّغويّ قديما هو طابعه الشّفويّ نظرا لأنّ المادّة موضوع النّقد كانت هي الأخرى شفويّة فالسّمع هو أداة لإدراك النّصّ وتمييز صالحه من فاسده.

إنّ كلّ ما أفاد به النّقاد القدامى هو ما سيؤسّس فيما فترات لاحقة لمدارس نقديّة بل أنّ الكثير من النّصوص النّقديّة ستتعامل معاملة القداسة؛ لأنّها تشكّل مرجعيّة اللّغة العربيّة بل ومرجعيّة كتاب القرآن الكريم خاصّة في العصور الأولى لصدر الإسلام إلى العصر الأمويّ. ثمّ مع العصر العباسي الّذي سيشهد تحوّلا في النّصّ الأدبيّ وبالتّالي تحوّلا في النّقد الأدبيّ واللّغويّ، الّذي سيعرف بروز لفيف من العلماء حملوا لواء التّجديد في أدوات النّقد.

[43] (مجلة مجمع دمشق المجلد 2/88)

[44] (مجلة مجمع دمشق المجلد 2/88)

المصادر والمراجع:

- أخبار النحويين البصريين، لأبي سعد الحسن بن عبد الله بن المزبان السيرافي، ت368هـ، تحقيق الدّكتور محمّد إبراهيم البنا – دار الاعتصام – القاهرة 1405هـ، 1985م.
- ارتشاف الضرب من لسان العرب، لأبي حيّان الأندلسيّ، ت745هـ، تحقيق الدّكتور رجب عثمان محمّد، مراجعة الدّكتور رمضان عبد التّواب – مكتبة الخانجي – الطّبعة الأولى – القاهرة 1418هـ، 1998م.
- أسرار العربيّة، لأبي البركات عبد الرّحمن محمّد بن أبي سعد الأنباري، ت577هـ، تحقيق محمد البطار، دمشق 1377هـ، 1957م.
- الأشباه والنّظائر، للإمام الحافظ جلال الدّين عبد الرّحمن السيوطي، ت911هـ، تحقيق طه عبد الرؤوف سعد، دار الكتب العلميّة، الطّبعة الأولى، صيدا، 1405هـ، 1984م.
- الأصول في النّحو، لأبي بكر بن السّراج البغدادي، ت316هـ تحقيق الدّكتور عبد الحسين الفتلي، مؤسسة الرسالة، الطّبعة الثّانيّة، بيروت 1407هـ، 1987م.
- الإعراب في جدل الإعراب، للإمام أبي البركات عبد الرّحمن بن محمّد الانباري، ت577هـ، تحقيق سعيد الأفغاني، دمشق، 1380هـ، 1957م.
- الاقتراح في علم أصول النّحو، للإمام الحافظ جلال الدّين عبد الرّحمن السّيوطي، ت911هـ، تحقيق محمّد حسن إسماعيل الشّافعي، دار الكتب العلميّة، الطّبعة الأولى، بيروت، 1418هـ 1998م.
- أمالي ابن الحاجب، لأبي عمرو عثمان بن الحاجب، ت646هـ، دراسة وتحقيق الدّكتور فخر صالح سليمان قدارة، دار الجيل، بيروت، لبنان، 1409هـ 1989م.
- الانتخاب لكشف الأبيات مشكلة الإعراب، لعلي بن عدلان الموصلي النحوي، تحقيق الدّكتور حاتم صالح الضّامن، مؤسسة الرّسالة، الطّبعة الثّانيّة، بيروت، 1405هـ، 1985م.
- الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين، للإمام الشّيخ أبي البركات عبد الرّحمن بن محمّد الأنباري، ت 577هـ، تحقيق محمد محي الدّين عبد الحميد، دار إحياء التّراث، الطّبعة الرّابعة، 1380هـ، 1961م.
- أوضح المسالك إلى ألفيّة ابن مالك، لأبي محمّد عبد الله جمال الدّين بن يوسف بن احمد بن عبد الله بن هشام الانصاري، ت761هـ، تحقيق محمّد محي الدّين عبد الحميد، دار التّراث العربيّ، الطّبعة الخامسة، بيروت، لبنان، 1399هـ، 1979م.
- الإيضاح في علل النّحو، لأبي القاسم الزّجاجي، ت337هـ، تحقيق الدّكتور مازن المبارك، دار النّفائس، الطّبعة الخامسة، بيروت 1406هـ، 1986م.
- البحر المحيط، لأبي حيّان الأندلسي، ت745هـ، دراسة وتحقيق وتعليق الشّيخ عادل أحمد عبد الموجود والشّيخ علي محمّد معوّض، منشورات محمّد علي بيضون، دار الكتب العلميّة، الطّبعة الأولى، بيروت 1422هـ، 2011م.
- البلغة في تراجم أئمة النّحو واللّغة، تألفي مجد الدّين محمّد بن يعقوب الفيروزابادي، ت817هـ، تحقيق الدّكتور محمد المصري، الطّبعة الأولى، جمعيّة إحياء التّراث الإسلاميّ، الكويت 1407هـ، 1987م.
- الجمل في النّحو، لأبي القاسم عبد الرحمن بن إسحاق الزّجاجي، ت340هـ، تحقيق علي توفيق الحمد، مؤسسة الرّسالة، دار الامل، الطّبعة الأولى، 1404هـ، 1984م.
- حاشية الصّبان على شرح الأشموني على الفيّة ابن مالك، لمحمد بن علي الصّبان، 1206هـ، دار إحياء الكتب العربيّة، بدون تاريخ.
- الخصائص، لأبي الفتح عثمان بن جني، 391هـ، تحقيق محمد علي النّجار، دار الهدى، الطّبعة الثّانيّة، بيروت، لبنان، بدون تاريخ.
- الرّدّ على النّحاة، لابن مضاء القرطبي، ت593هـ، تحقيق الدّكتور شوقي ضيف، دار المعارف، الطّبعة الثّانية، القاهرة، 1982م.

- سرّ صناعة الإعراب، لأبي عثمان بن جني، ت391هـ، تحقيق الدّكتور حسن الهنداوي، دار القلم، الطّبعة الأولى، دمشق، 1405هـ، 1985م.
- شرح الكافية، للرضي محمد بن الحسن الاستراباذي، ت686هـ، من إعداد يوسف حسن عمر، منشورات جامعة قاريونس، 1393هـ، 1973م.
- معجم الأخطاء الشّائعة في صيغ الأفعال، محمد الضاري حمادي، دار ومكتبة عدنان للطباعة والنّشر والتوزيع، 2021م.